فى مفترق الطرق . .

بماذا خرج القارىء من تلك الرحلة الطويلة التى قطعناها معاً فى دنيا الإنحلال وحمى نشاطه المفتعلة ؟ أتراه يخرج منها وقد تبددت فى ذهنه سحب اليأس ، التى لبدت سماء تلك الفترة ، وكله ثقة بالمستقبل وأمل ؟ أتراه قد استطاع على ضوء التفكير السليم أن يقف على الإتجاه الصحيح لفكرة الإصلاح ، ويسلك طريقاً مستقيما مفتوحاً خلال تذبذبات الإنحلال المرتجلة واندفاعاتها المتلهفة ؟

إذا كان القارىء قد وقف على عناصر الركود والفشل فى الأطوار السابقة للحركة الوطنية ، وأعمها وأبرزها افتقارها إلى عمودها الفقرى الاجتماعى ، وفساد عقليتها الكفاحية ، أى فلسفة كفاحها . . . إذا كان القارىء قد أدرك أن لامفر من أن تتوسط بين طور الحركة الوطنية الجديدة وأطوارها السابقة الفاشلة مرحلة انتقال غير قصيرة أسميناها « فترة الإنحلال » لما يتخللها من أفكار مختلطة مهوشة ، ومحاولات سقيمة تافهة . . إذا كان القارىء قد استطاع تخليص اتجاهات الإصلاح المختلفة مما يعلق بها من أوشاب التلهف والإرتجال ، وأدران الوصولية ، وتحيزات الطبقة ، ونسقها وجمعها فى اتجاه واحد ، وألف منها بصبغها بالصبغات الوطنية والإسلامية والإشتراكية معاً وجهة نظر مصرية عامة جديدة ، فهو بذلك يهتدى إلى مايسمى « بالإدراك العام الجديد » ، الذى إن هو إلاّ وجهة نظر عامة تألفت بالإحساس الباطنى الخالص ، مع شمول الفكر ونسقه وتجانسه !

وليست كل مجموعة من المبادىء بالإدراك العـــام ما لم تـكن شاملة متجانسة منسقة ، بحيث تؤلف وحدة فـكرية ووجدانية واحدة . وكما أن تفكير الشخص لا يقترب من النضوج ، وتصرفاته لا تخلو من الخطأ وشخصيته لا تتكون قبل بلوغه سناً معينة هو سن الإدراك والتمييز ، كذلك الجماعة لا ينضج تفكيرها ، وتتزن تصرفاتها ، وتتدعم شخصيتها القومية قبل بلوغها مرحلة الإدراك . ومن هنا كان الإدراك العـــام هو خامة المبادىء والبرامج . وأى مبادىء أو برامج يدعى إليها قبـل بلوغ مرحلة الإدراك ، إن هى إلاّ عناوين براقة فقيرة الجوهر ، مختلطة ناقصة . وإن استطاع الداعون إليها اصطياد بعض المتلهفين أو الحائرين أو البسطاء الخ . . فلن يستطيعوا تجميع الشعب بأسره حولها لأن طوائف الشعب لا تتجمع إلاّ حول إدراك عام ، ولا تتكتل وتتماسك إلاّ بوحدته الفكرية وبوحدته الوجدانية معاً .

تلك الألفاظ المختارة ، والمبـادىء البراقة لا قيمة لها ما لم تصادف هوى فى نفوس الـكتل الشعبية العاملة . . . ما لم تعبر عن إحساسها ، وتتمشى تماما مع ظروفها المادية ، ومع ما تعكسه هذه الظروف فى أذهان الأفراد من انفعالات وآمال وحوافز . وهى إن عبرت عن إحساس الشعب حقاً ، وإن تمشت مع ظروفه المادية حقاً ، لـكونت « إدراكا عاما » بلا جدال ، ولاسـتطاعت أن تقطر الـكتل الشعبية وراءها فى حركة شعبية حقه . وليس بعسير أن تميز تلك الـكتل بفطرتها السليمة وإحساسها الباطنى بين مبادئه الحية بإيحائها النفسانى وقوتها الدافعة وبين المبادىء البراقة التى تضىء بعض لحظات كشهاب وتتساقط ثم تنقلب إلى حجر لا روح فيه ولا معنى له !

ولكم أدهشنى أن يسخر بعض المثقفين من الوصوليين الحزبيين من عبارة « الإدراك العام » وأنا أحاضرهم أو أناقشهم فى المعتقل . وأن يأخذوا على أنى أتخير الألفاظ وأتعالى عليهم بالمصطلحات والأسلوب العلمى . وما كان لى أن أدهش وقد فقد هؤلاء الشبان كل إدراك ، وتشربوا الوصولية الحزبية ، وغرقوا فيها إلى آذانهم ، وانحدروا إلى هوة الرجعية بنظرتهم الآثمة إلى التعليم كميزة استثنائية فى بلد يسوده الجهل . وقد ظنوه أداة للترفع على طبقات الشعب الجاهلة ، التى تتميز عليهم بإدراكها السليم ، وصادق شعورها . والتى ما تكلمنا معها إلا وفهمتنا وفهمناها ، والتقينا معها فى إدراك عام واحد . ولكم كان رائعا ونحن عائدين ذات يوم من المستشفى إلى معتقل الزيتون ، أن تحدث سائق التاكسى « عثمان » على غير انتظار فى السياسة ، قائلا فى صراحة لاذعة « بيقولوا علينا إحنا الناس الغلابة إننا مابنفهمش . . . صحيح إحنا ما تعلمناش زى ما تعلموا . . ولكن . . برضه جهله لكن بنفهم . . . وعندنا إدراك ! وفاهمين إيه اللى حاصل فى البلد . . فاهمين إن كل الناس بتوع السياسة أصحاب مصالح وكدابين . . . ومستحيل يسألوا فينا بعد ما بيوصلوا . . وإن البلد مستحيل تصلح إلا بالناس اللى زينا . . إلا بالسياسيين بتوع الشوارع اللى عندهم إدراك صحيح وبيفهموا » . هذا « الإدراك العام الجديد » ليس بالإصطلاح العلمى المبتدع . إنما هو رباط نفسانى ، يربط ما بيننا وبين طبقات الشعب العاملة التى ينتمى إليها هذا السائق . وما أسرع ما نلتقى فيه مع رجل الشارع ، وإن استحال أن يصل إليه رجل الصالون بتفكيره الوصولى . ولسوف يجمع هذا الإدراك العام أغلبية الشعب الغالبة ما عدا حفنة من الوصوليين وطلاب المنافع . إلا أن تكتل الشعب حول هذا الإدراك العام الجديد لن يكفى

وحده لنجاح حركتنا الشعبية ، ولابد أن تصحبه فلسفة كفاح جديدة تنقله من حيز الوجدان إلى حيز العمل ، تنقله من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة ! فكما أن الإدراك العام هو خامة المبادىء والبرامج ، كذلك فلسفة الكفاح هى خامة التدبير التى تستخلص منها طرائق التنفيذ ووسائله . والمبادىء والبرامج بلا وسائل ، أقرب شىء إلى رؤوس مواضيع الإنشاء التى يكتبها صغار التلاميذ فى المدارس .

هذا « الإدراك العام » وهذه « الفلسفة الكفاحية » هما الرباط النفسى الذى يربط مابين جنود الحركة وقادتها : مابين الشعب والزعامة . والحركة التى لاتقوم على إدراك عام حق وفلسفة كفاح سليمة ، يكون طريقها ملتويا وسيرها معوجا ، ووحداتها متباعدة مفككة . وما انعدام ذلك الرباط النفسى إلا هوة سحيقة تفصل مابين الزعماء والشعب . كما تتمخض عن فجوات متتالية بين بعض الزعماء والبعض الآخر من جهة ، وبين بعض طوائف الشعب والبعض الآخر من جهة أخرى . فتكثر الخلافات والانشقاقات من وقت لآخر ، ويفلت زمام الشعب من يد الزعماء ، وتختل عجلات القيادة . وهذا مانلاحظه بجلاء فى الأطوار السابقة للحركة المصرية ، لافتقارها إلى « الإدراك العام » و « فلسفة الكفاح » السليمة فلو مررنا على زعامة عرابى العسكرية ، وقد اصطبغت بالصبغات الوطنية والإسلامية والاجتماعية كما رأينا ، وكادت تقوم على إدراك عام شامل وفلسفة كفاح سليمة بارتكازها على الجيش ، عماد كل حركة قومية ، ورافع ألويتها وحاميها . لو مررنا على تلك الزعامة التى سارت بنجاح فى طريق وعر ملىء بالأشواك ، بين دسائس الشراكة ، ومضايقات الخديوى ، وتدخل الدول الأجنبية حتى هوت تحت ضربات دولة غازية ، مصحوبة بطعنات الغدر والخيانة . لو مررنا على طور الزعامة العسكرية هذا

فى طريقنا إلى طور الزعامة الأدبية ، لوجدنا تلك الزعامة عاطفية بحتة ، اقتصرت على إيقاظ الشعور القومى بالمقالات والمنشورات والخطب وإذا كانت قد نجحت بذلك فى بعث القومية المصرية من مرقدها ، إلا أنها لم تقمها على إدراك عام جديد ، ولم تستند إلى فلسفة كفاح سليمة . ولهذا لم تلبث أن دب فيها الشقاق ، فتصدعت الكتلة القومية بظهور حزب الإصلاح وحزب الأمة . ثم أفلت زمام القيادة منها بتلك السهولة خلال ثورة سنة ١٩١٩ ليستقر فى يد « الزعامة القانونية » التى لم تدبر تلك الثورة ولم تنظمها ، وإنما ركبتها ووجهتها وفقا لعقلية زعمائها القانونيين الذين اجتمعوا حول مابعد ظرفا طارئا ، أو فرصة مواتية ، ولم يجتمعوا حول إدراك عام جديد وفلسفة كفاح جديدة . ولهذا لم يستمروا طويلا حتى دب الخلاف بينهم ، وتتابعت الخلافات والانشقاقات من وقت لآخر . وظهرت الأحزاب ذات العقلية السياسية القانونية بجانب الوفد ، مؤسس زعامة القانون ، الذى لا يزال محتفظا بالكثيرين من أنصاره ، وإن فتر تعلقهم به إلى إلى حد لم يعودوا ليتحرجوا معه عن التصريح بأنهم ما كانوا ليستمروا فى تأييده لولا عدم وجود حزب آخر أحكم توجيها ، وأبعد آمالا ، وأعظم بأسا . حتى لقد انسلخ عن موكبه الشعبى مئات الشبان ليؤلفوا « جماعات الانحلال » التى كثرت وتعددت بانقسام الموجود منها ، وبظهور جمعيات جديدة . وقد تقلب الشبان الحائرون بينها . . . يخرجون على جماعة لينضموا إلى أخرى لا يطيلون البقاء فيها وهكذا . . . ولا عجب فكل جماعة لم تكسبهم بكفاية دعايتها وقوة مبادئها ، وإنما هم دخلوها بدافع التلهف ، لعلهم يجدون فى نشاطها ما يشبع طموحهم ونزوعهم إلى العمل والظهور العاجل . وسرعان ما يخرجون عليها باحثين فى غيرها من

الجماعات عن ضالتهم المنشودة . مما يدل على أن هذه الجماعات تفتقر جميعا إلى كفاية التنظيم ، حتى لنراها لا تستطيع الاحتفاظ طويلا بما يفد عليها من المتلهفين الحائرين . ولو كانت قد قامت حقا على إدراك عام جديد وفلسفة كفاح جديدة لكسبت الأنصار ، ولاحتفظت بهم ، ولعبأتهم لاكتساب غيرهم ، ولامتدت حركتها إلى طوائف الشعب جميعاً . ولما رأينا من أنصارها من يرجع إلى قواعده فى الأحزاب القديمة يائسا من الجماعات الناشئة . وقد وجدها أشبه شىء ببراعم الجيل القديم ففضل الأصل على البراعم !

بجانب مظهر الخلافات والانشقاقات ، وتعدد الجماعات ، والفوضى الحزبية عموماً ، يوجد مظهر آخر لانعدام الرباط النفسانى بين الزعماء والشعب . ألا وهو إفلات زمام الحركات وتباين النزعات النفسية للشعب والزعامة . فكم مرت على البلاد ظروف كان بعض الزعماء فيها ثائراً والشعب هادىء . بينما رأينا الشعب فى ظروف أخرى متحفزا للعمل العاجل ، والزعماء هادئين يدعونه إلى الهدوء والسكينة وما هذا إلا نتيجة طبيعية لكفاح الزعماء العاطفى الارتجالى ، ولعدم ارتباطهم مع الشعب بفلسفة كفاح واضحة ، لابد أن يتشربها الناس لجنود الحركة ليتفهموا أوامر الزعماء ولينفذوها . وقد كان الواجب أن يشربهم الزعماء إياها قبل دخول المعارك ، شأن الجندى المحارب لا يوجه إلى ميدان القتال إلا بعد إلمامه بفن الحرب إلماما كافيا يربطه بالقيادة تماما .

تلك الفجوة النفسية تبدو لنا فى حركة نوفمبر ١٩٣٥ بأجلى معانيها . فقد حدث قبيل تلك الحركة أن عم القلق ، وخاف الناس أن تذهب فرصة الحرب الايطالية الحبشية سدى ، وأن لا تستغل البلاد فرصة توتر

الظروف الدولية فى تسوية حسابها مع بريطانيا بالدخول فى مفاوضات جديدة . وقد تبرموا بوزارة نسيم وبتأييد الزعماء لها ، وضجوا لتصريح هور ولزج الانجليز أنوفهم فى اختيار نظام الحكم الدستورى ، مما أدى إلى تحفز الجناح المتطرف من الوفد للعمل ، وقيام العقاد بحملته الصحفية على ركود الزعامة . وعندما بدأت الاضطرابات فى ١٣ نوفمبر ، لم يكن الزعماء ليملكوا زمامها تماما . بل أفلت من أيديهم أكثر من مرة ، وكان القائمون بالحركة من الشبان يوجهونها بتفكيرهم الخاص المستقل . حتى لقد ظل الكثيرون منهم مصرين على الاستمرار فى الثورة ، على الرغم من دعوة الزعماء اليهم بالهدوء عقب عودة الدستور . ولم يلزموا الهدوء إلا بعد وقت وجهد ، وبعد أن صدر قانون العفو الشامل عن الجرائم السياسية التى تخللت الحركة . فكان كل ذلك إيذانا بزوال هيبة الزعامة القانونية التى أخذت علامات انهيارها فى الظهور . كما شرع الشبان ينزلون إلى الميدان السياسى كهيئات أو جمعيات مستقلة ، تزايد عددها كعرض من أعراض الانحلال ، الذى ظهرت بوادره الأولى فى حركة نوفمبر ١٩٣٥ ، مما حدا بنا إلى اعتبارها نقطة تحول ها فى طريق حركتنا القومية .

وتبدو لنا أيضا تلك الفجوة النفسية بين الشعب والزعامة ، من زاوية أخرى فى حركة نوفمبر ١٩٣٥ ، من حيث انحصارها فى المثقفين فقط ! إذ هى اقتصرت على مظاهرات الطلبة ، واحتجاج الأساتذة والمستشارين والمحامين الخ . . ولم تمتد إلى طبقات الشعب العاملة ، إذ لم يشترك فيها العمال والفلاحون كما اشتركوا فى ثورة ١٩١٩ وما كان ذلك إلا لافتقار الحركة الوطنية إلى عمودها الفقرى الاجتماعى ، ولفقد الطبقات العاملة كل إيمان بنجاح الحركة بعد أن لمسوا بأيديهم تلك الحقيقة ، ورأوا

الحركة الوطنية قد تحولت على يد الزعامة القانونية عن هدفها الأسمى إلى تكالب وتنازع على المناصب ! وقد بدا لهم تعاقب الزعماء فى الحكم كتنفيذ أوراق اللعب تماما . يدخل هؤلاء الحكم وفى الشعب ملايين من الجهال والجياع وأنصاف العراة ، ليحظوا بأرفع الألقاب ، وليتقاضوا أعلى المرتبات . . ثم يتركون الحكم والفقراء على فقرهم ، والجهال على جهلهم ، ليتولاه آخرون يتقاضون نفس المرتبات ، ويحظون بنفس الألقاب ثم يخرجون هم أيضا من الحكم ليتولاه غيرهم ، ثم ينصرفوا عنه والشعب هو هو بين هؤلاء وهؤلاء يرسخ فى أغلال الفقر والجهل والمرض ، ويحيا حياة الدواب والبهائم !

الواقع أن هذا الجيل من الزعماء المصريين ودعاتهم وبراعمهم لا يريد أن يفعل شيئاً ، أو لا يستطيع أن يفعل شيئاً لنقص فى كفايته وثقافته واستعداده . وهو إن أظهر عطفاً على العامل والفلاح لا يفعل ذلك إلا لمجرد الحصول على أصوات الناخبين ، أو خلق الأسماء الشعبية الطنانة ! وقد لا تجد فى خطبهم ومقالاتهم وبرامجهم شيئاً أكثر من الصياح وإثارة العواطف . وإذا شاء أحدهم أن يذهب إلى ما هو أبعد من مجرد القول « يجب أن نفعل شيئا » وصرح بما يريد أن يفعل ، كشف بذلك القناع عن حقيقة نواياه ، وعن الروح التى يبحث بها مشاكل المجتمع ، والاتجاه الذى يريد أن يصب فيه اصلاحاته !

أقول هذا وأنا مطمئن كل الاطمئنان إلى صحة ما أقول . فما من اصلاح أو علاج لمشكلة من مشاكل هذا البلد تقدم به وزير ، أو نائب ، أو كاتب من رجال الأحزاب الوصولية القديمة ، إلا وكان مشبعاً بالمصلحة الطبقية ، وقائماً على افتراض وجود نظام الطبقات ، كأمر طبيعى ، وضرورة اجتماعية لا غنى عنها لانتظام الكون ! ولا عجب فأغلب هؤلاء

الزعماء والحكام ودعاتهم ، وقد درجوا على أبهة المناصب وبهرتهم مرتباتها الضخمة وألقابها السامية ، أصبحوا بعيدين كل البعد عن حياة السواد الأعظم من الشعب . وهم إذا نظروا إليه ، فإنما ينظرون إليه من شرفة كلوب محمد على أو تراس سميراميس . . ينظرون إلى الملايين من أبناء هذا الشعب كمخلوقات دنيا ، ليس لها أن تعيش كما يعيشون ، وهى فى نظرهم خلقت لتكدح وتشقى وتجوع لينعم على حسابها الحكام والأعوان والسادة !

فهل الشعب المصرى من الغباء والحمق بحيث ينتظر الخير على يد رجال من هذا الطراز ، ويتركهم يتولون زمام أمره إلى الأبد ؟ وإذا كان الشعب قد أدرك تلك الحقائق ، فإلى متى يقف موقف المتفرج من عملية التفنيط الحزبية ، ولا يقذف إلى سلة النسيان بتلك الأحزاب كأوراق لعب قديمة بلت ولم تعد تصلح حتى لمجرد التفنيط ! ؟ أما أن الشعب قد أدرك بذكائه الفطرى وإدراكه السليم حقيقة هذا الجيل من الزعماء المصريين ، ولم يعد يؤمن برجل واحد من رجاله ، بل طفق يتطلع إلى جيل جديد من الزعماء والقادة ، فهذا مايدل عليه وقوفه موقف المتفرج من تنازع الأحزاب الرخيص على الحكم ! ولا نظن الشعب سيظل فى موقف المتفرج طويلا ، فهو يتأهب وينتظر . ومهما حاول أحد رجال ذلك الجيل ، خلال هذا الانتظار ، أن يتنصل من جرائمه ومخازيه ، ويلقى مسئوليتها على سواه ، فلن يستمع إليه أحد ، ولن يستطيع أن يخدع الشعب لينجو من تلك النهاية المحتومة للجيل القديم بأسره ، أحزابه وزعامه ورجاله ! فالشعب يدرك تماماً أن هؤلاء القوم ، الحزبى منهم والمستقل ، إنما يمثلون مدرسة سياسية واحدة ، تفكيرها واحد ، ومخازيها واحدة ، ومصيرها بعون الله واحد ! ومهما تنصل أحدهم من

المسئولية محاولا إلقاءها على سواه ، فجميعهم فى الجرم سواء . وهم يشتركون جميعاً فى جرائم استغلال النفوذ والاستثناءات والمحسوبية والإثراء على حساب الغير . فما رأينا حزباً واحداً استطاع أن يدفع عن نفسه هذه الجرائم بما هو أكثر من نسبتها إلى الآخرين ، لكأن الجريمة تبرر الجريمة ، ولكأن الأمر لايمس حياة شعب كامل !

إن نهاية العهد القديم آتية لاريب فيها ! ولا مكان فى العهد الجديد لرجاله وبراعمه . ونحن نجرم فى حق أنفسنا ، وحق الأجيال القادمة إذا تركنا لأمثال هؤلاء الوصوليين مكانا فى عهد لم يشتركوا فى بنائه ، ولم نوطد أركانه بعد ، وعلينا أن نحرص بكل الوسائل على صيانته ، وإطراد تقدمه ونجاحه !

إن طريق العهد الجديد مستقيم واضح ، ومهما كان هذا الطريق طويلا شاقاً ، فالواجب على كل وطنى مخلص أن يقدم على اجتياز مراحله ، متسلحا بالإيمان والإصرار والشجاعة !

إن مئات الآلاف من المترددين الحائرين الواقفين فى مفترق الطرق ، إنما يتهيبون طول الطريق ، ويشفقون على أنفسهم من العوائق والمتاعب التى اعترضت ولا تزال تعترض الطليعة المؤمنة المكافحة التى أصرت على مواصلة السير إلى النهاية . بينما تخلف المستضعفون والوصوليون فى منتصف الطريق ، باحثين عن طريق آخر أهون وأقصر . وقد زوقت لهم عقليتهم الانتهازية أن يرجعوا إلى الوراء متى وجدوا فى ذلك مغنما ، أو أن ينحرفوا ويلتووا هربا من العقبات والمصاعب ! وسرعان ما ينتهى بهم الأمر إلى العودة إلى أحضان العهد القديم ، والتنكر للحركة الجديدة ، وإن تظاهروا بعطفهم عليها من وقت لآخر .

إن أمثال هؤلاء الوصوليين الذين يعودون إلى الاستظلال بظل العهد القديم ، ويحلمون بأن يسيطروا على أحزابه أو يرثوها ، هم ولاشك يؤلفون عنصراً انتكاسيا خطيراً ، يطيل فى عمر العهد القديم ، ويؤخر بعض الوقت نهايته المحتومة . ولا أحسبنى متجنياً إذا قلت إن هؤلاء هم أعدى أعداء العهد الجديد ، وأخطر العناصر المهددة لنجاحه واستمراره لأنهم يطمعون فى نفس المكانة المفتعلة التى كان يتمتع بها رجال العهد القديم ، ويريدون أن يحتفظوا بالمزايا الاستثنائية التى كانوا يستأثرون بها . وهم ولاشك منهم بمثابة البراعم ! ولو أتيحت لهم الفرصة لقاموا مستقبلا بنفس الدور الذى قام به أساتذتهم بالأمس ، ولظلوا عنصرا متجدداً من عناصر الفساد السياسى فى مصر ، وحقلا خصبا للوصولية السياسية ، التى نثر المستعمر بذورها الأولى ، والتى يجب القضاء عليها تماما حتى نبعث القومية المصرية فى طور جديد ناجح . وإذا كان رجال الجيل القديم قد تشربوا تلك الوصولية الآثمة فى ظل الحماية ، فإن هؤلاء الشبان وقد تشربوها فى عهد الاستقلال الداخلى ، وتنكروا للأفكار الثورية والتقدمية التى عاصروها ، ليعدوا فى نظرنا أعظم إجراما ، وأدنأ غرضا . وإن علينا نحن المكافحين الأحرار أن نحرص على تنقية صفوفنا من الوصوليين أولا بأول . وأن نعمل على استبعادهم من ميدان السياسة المصرية تماما !

لقد صادفت الكثيرين من أمثال هؤلاء الشبان الوصوليين خلال مرحلة التغلغل ، وعشت مع بعضهم فى معسكرات الاعتقال أشهراً وخبرت عقليتهم فازددت إيمانا بوجوب هذا الاستبعاد . ويخطىء من يحسن الظن بنواياهم ، ويأمل علاجهم . فالوصولى وصولى بطبعه لن يستطيع التحرر

من وصوليته مهما ارتدى ثوب المكافح . وإذا تسرب أحدهم إلى صفوف المكافحين ، ولم يكتشف فيستأصل منها ، كان فيها نقطة ضعف ، ما أسرع ما تظهر عند أول محنة تمر بها الحركة الجديدة ، وتشكك فى نجاحها وتقدمها . عندئذ يتخلف الوصوليون عن الصفوف ، ويتنكرون للحركة ، وينقلبون حرباً عليها ، ولكم أخذت جماعات الانتقال دروساً قاسية فى هذه الناحية ، يوم تركها بعض أنصارها ليعودوا إلى أحزاب الجيل القديم ، مفضلين النفع العاجل على النصر الآجل .

تلك دروس يجب على قادة العهد الجديد أن يضعوها دائماً نصب أعينهم . وقد بدأت شراذم الوصوليين الذين عاشوا على فتات العهد البائد تندس فى صفوف الحركة الجديدة . وقد صور الغباء لبعضهم أن فى استطاعتهم أن يسدلوا ستار النسيان على ماضيهم ، وركوب الاتجاه الجديد لعلهم يحتفظون بزعامة المهدين وهم أبعد الناس عن روح العهد الجديد ، وأعجزهم عن تحمل مسئولياته ، والتزام أهدافه ، والعمل على تحقيقها بإخلاص وأمانة !

لم يعد فى العهد الجديد مكان لأحزاب الجيل القديم وبراعمه وما كانت غالبية هذه الأحزاب لتعيش لولا انقيادها للرجعية والفساد ، ومهادنتها للمستعمر . وقد اتخذت منها الرجعية أدوات للانقلابات الدستورية المتعاقبة التى استنفدت جانباً كبيراً من قوى البلاد ، وحولت الحركة الوطنية عن طريقها الحق الواضح كما رأينا . واليوم وقد انهارت الرجعية بحركة الجيش الباسل ، أصبح من المفروغ منه زوال أحزاب الأقلية واختفائها من الميدان تماما . والحزب القديم الوحيد الذى يستطيع البقاء هو حزب الوفد ، مؤسس الزعامة القانونية ورافع لوائها ، الذى لا يزال محتفظاً

بالكثير من الأنصار ، متمتعاً بمكانة شعبية لا يمكن تجاهلها . إلا أن هذا البقاء مؤقت بطبيعته ، ولن يستطيع الوفد الصمود فى منحدر الانحلال طويلا . وقد كان فى استطاعته الخروج من فترة الانحلال بسلام ، وتجنب نهايته المحتومة ، لو أنه عمد إلى إعادة تنظيم صفوفه وتنقيتها من الاقطاعيين والوصوليين ، وبادر إلى تقوية « العنصر الاجتماعى » أو الاشتراكى فى مبادئه وبرامجه ، بحيث ترتكز عليه وتؤلف معه إدراكاً عاماً جديدا ، يرد الإيمان إلى الطبقات العاملة المجردة المحرومة !

لقد عجز الوفد عن أن يخطو مثل هذه الخطوة ، ولم تشبع برامجه الجديدة رغبة الشعب فى الإصلاح . وما كان هذا الحزب الكبير ليستطيع السير فى طريق العهد الجديد ، وهيئته العليا على ما هى عليه من حيث « التمثيل الطبقى » . ومهما قدم من برامج جديدة براقة ، فلن يستطيع الوصول فيها إلى الحد المرغوب . ولن تطمئن إليه كتلة الشعب ما لم يبرز الدليل على عزمه الأكيد على التوسع فى هذه البرامج ، والإخلاص فى تنفيذها ، بإعادة تشكيل هيئته العليا ، بتطهيرها من الاقطاعيين والوصوليين ، وتطعيمها بأعضاء جدد يمثلون الطبقات الشعبية العاملة ، وتقويتها بدم جديد من الفنيين والاقتصاديين ، والشبان الموهوبين بكفاية التنظيم ، راجعا عن سياسة حشر « ثمر التبرعات » وأصحاب الأموال مقدما قائمة تبرعاته على رسالته الشعبية وحيويته .

لقد أصبح اشتراك الطبقات العاملة فى توجيه الحركة الوطنية خطوة ضرورية للقضاء على فوضى الانحلال ، وبعث الحركة فى طور جديد ناجح . وهذا ما تدعوا إليه تطورات « الصرح الطبقى » فى مصر ، بتقدم الصناعة المصرية والنمو السريع لطبقة العمال ، وازدياد نفوذها بتجمعها

فى المدن الصناعية الكبيرة . وإذا كانت فكرة الوفد قد نشأت عام ١٩١٩ فى محيط الباشوات والأغنياء ، بمناصرة بعض العناصر الوثابة من الطبقة المتوسطة ، التى لم تلبث أن تركزت قيادة الوفد فى يدها بتخلف أو إنشقاق « أبناء البيوتات » من وقت لآخر ، وتأليفهم أحزاب الأقليات القائمة على نفوذ الأسر والعصبيات المحلية . إذا كانت هيئة الوفد العليا قد بدأت كشبه حلف بين الطبقات العليا والمتوسطة ، ثم طغت الطبقة المتوسطة عليها ، فالمنتظر مع هذا التطور فى التمثيل الطبقى أن تقوم الحركة الجديدة على حلف مماثل بين الطبقات المتوسطة والعاملة . وتلك خطوة لا تطن الوفد يقطعها بعقليته السياسية الراهنة . كما لا ننتظر أن يوفق إلى التخلص من عقليته الكفاحية القانونية ، وإلى إعادة تنظيم صفوفه التى لا يمكن تقويتها وتدعيمها إلا بتشرب فلسفة كفاح جديدة ، لا بمجرد ترقيع « لجان الوفد » بنفر من محبى الظهور ، وطلاب المنافع ، ونشر أسماء أعضائها على صفحات الجرائد ، ولا بمجرد ضم عدد من « المحامين النابهين » الذين يتعذر تحريرهم من العقلية الكفاحية القانونية ، إلى هيئته العليا ، كما فعل أكثر من مرة عقب حركات الانشقاق لسد الثغرات فى صفوفه .

لقد أثبتت الحوادث عجز الوفد عن الاحتفاظ بزمام الحركة الوطنية . وحتى بعد إلغاء وزارته الأخيرة لمعاهدة أغسطس ١٩٣٦ ، وإفاحها مجال الكفاح للشعب ، ووقوفها إلى جانبه ضد الاستعمار ، لم يستطع أن يمسك بزمام هذا الكفاح ، أو أن يصونه من مؤامرة ٢٦ يناير المشئومة . كما لم يستطع أن يفعل شيئاً إيجابيا لرد الإيمان إلى النفوس بعد هذا الحادث الذى دبر للقضاء على الحركة تماما . والذى كاد يشيع اليأس وروح

الهزيمة ، لولا أن شاءت عناية الله أن يضرب الجيش ضربته الفاجئة ، فيطيح برأس الرجعية ويسدد سحب اليأس . ويهز مرحلة الانحلال هزاً عنيفاً !

لم يعد فى إستطاعة الوفد إذن أن يدعى أنه « حامى الأمة » أو ممثل الشعب الأوحد . فقد نمت بعض الجماعات الناشئة التى ظهرت فى مرحلة الانتقال نمواً كبيراً ، حتى لقد أصبحت تنازعه مكانته الشعبية ، ونعنى بها حركة « الإخوان المسلمين » التى استطاعت الصمود أمام موجة الإرهاب والكبت المطلق ، التى أودت بمؤسسها الشهيد الأستاذ الإمام حسن البنا ، وألقت بالآلاف من أنصارها فى غياهب المعتقلات والسجون . وعلى الرغم من كل هذا الايذاء والعنت ، استطاعت أن تستأنف نشاطها أقوى ما تكون ، معتمدة بعد الإيمان بالله على فلسفة كفاح عملية سليمة . وقد جمعت بين الاتجاهات الوطنية والاسلامية والاشتراكية ، وكاد الإدراك العام الجديد يتبلور فيها .

وإلى جانب الإخوان المسلمين ، والحزب الاشتراكى الغنى بعناصره القوية المكافحة على الرغم من قلة أنصاره . نرى رصيداً كبيراً من المكافحين الأحرار ، الذين نفروا من الأحزاب القديمة ، ورأوا من الأنسب فى مرحلة الانتقال أن يتغلغلوا فى جماهير الشعب ، وأن يكافحوا كأفراد ، بدلا من الانضمام إلى جمعيات أو هيئات قد لا تتفق مبادئها ووسائلها مع إدراكهم العام وأسلوبهم فى الكفاح . لم يكن هؤلاء بالحائرين أو المترددين الواقفين فى مفترق الطرق . ولكنهم لم يشاءوا أن يبددوا نشاطهم ويستنفدوا قواهم المدخرة فى « جماعات حلقية » تدور حول أشخاصها وتتعجل الظهور ، وتتزلق إلى المحاولات السابقة لأوانها . بل حرصوا بمقليتهم الحركية على أن يتغلغلوا فى الميدان كطلائع الوحدات

الميكانيكية الخفيفة ، التى تتقدم للاستكشاف ، وجس النبض الخ . ونحن نقرر حقيقة واقعة إذا قلنا إن أمثال هذه العناصر المكافحة التى التقت فى الميدان وكادت تتجمع تجمعا حركياً ، والتى لعبت دوراً إيجابيا فى نشر الوعى بين الجماهير ، وفى تعبئة الشعور القومى وتهيئة الأذهان للانقلاب المنتظر ، هى عنصر صالح يمكن الاعتماد عليه فى تصفية مرحلة الانحلال ، وفى بناء صرح العهد الجديد على أسس عادلة وطيدة .

هذه هى القوى الثلاث التى يضمها ميدان السياسة المصرية فى مرحلة الانتقال القائمة :

أولا — فلول الجيل القديم وبراعمه من الشبان الوصوليين الذين ربطوا مصيرهم بمصيره ، وكانوا مظهراً صارخا من مظاهر الإنحلال والفساد ، وهؤلاء يجب تنحيتهم عن الميدان . فلا يترك أحدهم يتسلل إلى صفوف الحركة الجديدة .

ثانياً — جمعيات الانتقال التى كثرت وتعددت عندما كانت حمى الانحلال على أشدها . والتى لن يبقى منها بعد مرحلة التصفية سوى القوى الصالح الذى يستطيع أن يقطر وراءه العناصر الطيبة من الجمعيات الأخرى ، فضلا عن كسب الكثيرين من الفريق الثالث .

ثالثاً — الرصيد المتجمع من المكافحين الأحرار الذين حملوا على أحزاب العهد القديم ، ولم ينضموا إلى جمعيات الانتقال ، أو يحاولوا تأليف جمعيات جديدة ، مفضلين المرور أولا بمراحل التفاعل ، والتجمع الحركى والتنظيم الأساسى . وهؤلاء إما أن يستكملوا مراحل كفاحهم فيجتمعون فى هيئة قوية جديدة ، وإما أن تقطرهم الجمعية الأقوى والأصلح من جماعات الانتقال ، إذا قدر لها أن تقضى على فوضى الانحلال ، وتسيطر على الميدان ، وتحكم إمساك زمام الزعامة الجديدة .

هكذا نكافح ..

كنت أسير وأحد الأصدقاء فى طريق دلسبس ، نتحدث عن مدينة بور سعيد ، وعن طابعها الأجنبى الخاص حتى ليكاد يشعر المصرى أنه غريب فيها .. فيها شركة القنال تكاد تصبح دولة داخل الدولة بسطوتها الرأسمالية ، ونفوذها الدولى .. فيها تماثيل أربعة كلها للأجانب .. وفيها حى يقال له حى العرب ، وحى يقال له حى الأفرنج ، الأول فقير مهمل قذر ، والآخر غنى منظم محاط من أولياء الأمور بالعناية .. ! امتد بنا الحديث إلى قاعدة تمثال دلسبس الضخم ، فأخذت صاحبى العزة والحماسة ، وصاح غاضباً : « تباً لأهل هذا البلد ! أما كان أحدهم ليفكر فى نسف هذا التمثال الأجنبى الفاضح أيام الاضطرابات العديدة » .

كان يتكلم والانفعال يطل من حركاته ونبراته . وكم أزعجه أن يرانى أبتسم فى هدوء ، ثم أقول فى هدوء : « مهلا يا صاحبى .. لقد أقيم هذا التمثال باحتفال رائع ، وما علينا إلا أن ننزعه أيضاً باحتفال رائع ، لنقيم مكانه بحضور ممثلى الدول الأجنبية عامة ، تمثال الفلاح المصرى الذى بذل فى حفر القنال جهده وروحه وماله ! » .

كان صاحبى « عاطفياً » تشرب العقلية الكفاحية العاطفية ، فكان خاطره هذا نوبة عاطفية أثارها حديثنا عن سطوة الأجانب ونفوذهم وما كان هذا الخاطر ليجول فى ذهنه لولا هذا الحديث . ولسوف ينساه بعد أيام قلائل . أما تعليقى على خاطره ، فقد كان فكرة هادئة بعيدة المرمى ، ما كنت لأقولها عفواً ، وما كنت لأنساها . وقد استقرت فى ذهنى

فى موضع معين ، إلى جانب أفكار أخرى معينة ، كجزء من تدبير عام ، ويودى لو أراها تنفذ فى يوم قريب بعون الله تبارك وتعالى .

ذلك مثل بسيط واضح أسوقه لبيان ما بين « العقلية الكفاحية العاطفية » و « العقلية الكفاحية التدبيرية » من فرق شاسع . الأولى انفعالات أو نوبات عاطفية تطفو حيناً وتهبط حيناً . . وهى أشبه شىء بالحركات الدائرية الموضعية ، يفصل ما بينها الزمن والارتجال ، فلا تتصل ولا تستمر . . ما أيسر ما تستفز ، وما أسرع ما تثور وتخمد ، وما أكثر ما تتباين وتتناقض باختلاف الظروف والدوافع . ولهذا لا نستطيع أن نعدها جهاداً ، لأن أول مستلزمات الجهاد أن يتصل ويستمر ويتكامل .

هذه الحركات العاطفية الموضعية أشبه ما تكون بالدورات ، تدور حول نفسها ، وتهبط بالقائمين بها إلى القاع . وهى لا تحدث تياراً جارفاً كالحركة التدبيرية المتصلة الحلقات والمراحل . ولو استعرضنا الأدوار التى مر بها كفاحنا الوطنى فى الربع قرن الأخير ، لمسنا بجلاء تلك النوبات العاطفية التى تظهر الواحدة منها قوية ، ثم لا تلبث أن تفتر وتخمد بعد أسابيع ، أو حتى أيام قلائل . . . ثم تعقبها فترة هدوء ، ثم نوبة عاطفية أخرى فى اتجاه آخر . مثلا حدث أكثر من مرة أن دعى الشعب المصرى إلى مقاطعة البضائع الأجنبية وتشجيع الصناعات المصرية . وفى كل مرة كانت تقتصر حركة المقاطعة على إلقاء الخطب ، ونشر المقالات ، وإصدار البيانات ، وإثارة العواطف . وما أسرع ما ترى الكل متحمسين ولدعوة المقاطعة مرددين ، دون أن تمتد هذه الحركة عملياً وتتسع . وحتى الذين هم على رأسها تراهم أول المترددين فى تنفيذها . وهكذا لا تلبث أياماً حتى تفتر وتخمد إلى الأبد ، أو تعود إلى الظهور بعد أمد طويل فى نوبة عاطفية جديدة . ولو كانت حركة المقاطعة قد نظمت على أساس العقلية

الكفاحية التدبيرية ، واتخذت من الوسائل العملية ما يكفل ضمان تنفيذها واستمرارها لأتت بأطيب النتائج . وهذا ما لمسناه فى الدول التى بدأت حركات المقاطعة المماثلة على أسس عملية كحصرها قبل كل شىء فى التجار ، لأن الهيمنة عليهم أيسر وأجدى من الهيمنة على الجماهير . ولن يستطيع التجار أن يعرقلوا تلك الحركة ، أو يقاوموها ، إذا روقبوا بواسطة المكلفين المكلفين بالمراقبة ، ورأوا الخارجين على الحركة منهم قد عرضوا أنفسهم لخسائر أفدح بكثير مما يحدثه تنفيذ حركة المقاطعة من خسائر !

على هذا الأساس العملى التدبيرى نجحت حركة المقاطعة فى الهند ، ولو لم يوقفها الزعماء ملبين دعوة الإنجليز إلى مؤتمر المائدة المستديرة ، لاستمرت وأتت بأعظم النتائج . وقد كان الواجب أن لا توقف هذه الحركة ، وأن تستمر مع استمرار المفاوضات ، فإذا فشلت أمكن مواصلة الحركة بعزيمة أقوى ، مع مضاعفة الجهود المبذولة فيها . لأن كل حركة شعبية إذا توقفت ، تعذر بل استحال استئنافها من جديد . ولهذا كثيراً ما كان الإنجليز يلعبون لعبتهم التقليدية بطلب إيقاف أمثال تلك الحركات فى مصر والهند وفلسطين باسم الدخول فى مفاوضات جديدة ! .

ومن أمثلة الحركات العاطفية أيضاً تلك المظاهرات التى تجوب الشوارع ، ولا تقوم على ماهو أكثر وأجدى من الهتاف . والهتاف بطبيعته مجهود ضائع ! وفى الوقت الذى لم تحقق فيه المظاهرات العاطفية فى دول الشرق الأوسط أية نتيجة عملية ، رأينا حرب العصابات تنجح فى شوارع ارلندا وتحقق استقلالها التام بفضل العقلية الكفاحية التدبيرية للزعيم الإرلندى دى فاليرا . وبالمثل فى الوقت الذى فشل فيه الشيوعيون والاشتراكيون الديموقراطيون فى إيطاليا وألمانيا ، ولم تصمد مظاهراتهم العاطفية أمام فرق موسوليني وهتلر المدربة ، رأينا الحرس الأحمر ينجح

فى روسيا فى إقامة النظام الإشتراكى الجديد بفضل عقلية لينين التدبيرية العظيمة ، وتفوق وسائل كفاح البلاشفة .

وهكذا نرى العقلية الكفاحية التدبيرية تتفوق دائماً ، وفى كل مكان ، على العقلية الكفاحية العاطفية ، لأنها لا تعرف مثلها الارتجال ولا الاستفزاز . وإنما تسير فى حدود خطة مرسومة لحركة مستقيمة متواصلة مستمرة ، تتصل مراحلها بعضها بالبعض الآخر فى ترتيب استراتيجى ، وتتجمع نتائجها فى وحدة الزمن ، إذ تجد فى اجتيازها لكل مرحلة القوة الدافعة لاجتيازها مرحلة أخرى تتلوها . وهكذا حتى تصل إلى هدفها الأخير ، وتحقق نتائجها جميعاً .

بتلك « العقلية الكفاحية العاطفية » العقيمة ، سارت الحركة المصرية بتوجيه الزعامتين الأدبية والقانونية مفككة مرتجلة ، فكان نصيبها الفشل المحقق . وصبغت السياسة المصرية بصبغة العاطفة العمياء التى سلبت الجماهير تفكيرها بحيث لم تعد تعرف إلا التأييد الأعمى والكراهية العمياء ، وبحيث تحولت إلى قطيع من الهتافين المنساقين وراء الأشخاص لا وراء المبادىء ! من هنا نرى كيف كان زعماء الجيل القديم يقربون إليهم أصحاب الحناجر ! وكيف يترائى لهم الجهاد خطباً وهتافاً وصخباً . يحشدون لجانهم للتأييد أو للاحتجاج ، ويطلقون المظاهرات الصاخبة فى الشوارع . وماذا لو تظاهر عشرون مليونا وهتفوا عشرين مليون سنة بحياة الاستقلال وسقوط الدولة المحتلة ؟ ! أيهبط الاستقلال عليهم من السماء ، وتجلو جيوش الاحتلال عن أراضيهم ؟ وهل يعد مجرد إظهار الشعور قياما بالواجب ؟ ! وأى تفكير أتفه من أن يضرب المرء رأسه فى الحائط وهو يصيح : « فليسجل التاريخ وليشهد العالم ! » .

من تلك العقلية الكفاحية التافهة السخيفة تعلمنا وثورتنا . وخرج ثورتنا هذا خلال حركة نوفمبر سنة ١٩٣٥ ، إلى حيز التفكير فى وسائل كفاح عملية جديدة ، مدركين ضرورة تشرب الشعب المصرى لفلسفة كفاح جديدة . وقد بدت لنا العقلية الكفاحية القانونية شاذة ، غريبة بالنسبة لحقائق الأشياء وظروف العصر . لكأننا كنا نسائل أنفسنا من حين لآخر : إذا كان وفد ١٩١٩ قد تخير أساليب كفاحه وفقاً للعقلية القانونية لزعمائه ، فقد كان ذلك فى وقت كانت مبادىء تقرير المصير ، وحق الأمم الضعيفة فى الحياة ، هى السائدة فيه . أما اليوم ، والعالم كله مؤمن بسياسة القوة ، والمعاهدات والمواثيق لاقيمة لها ولاوزن ، والأمم الصغيرة يضحى بها وتبتلع ، لابد وأن يأخذ المكافحون الوطنيون « بفلسفة القوة » ، ويبنوا وسائل كفاحهم على أساسها .

كان الوطنيون المصريون فى ظل الزعامتين الأدبية والقانونية ، يتغنون بالحقوق ، ويستنكرون القوة . ولكم حاولوا تبرير عقليتهم الكفاحية العاطفية الشاذة بالتغنى بعبارة « الحق فوق القوة » أو بالقول « فلتفعل القوة ماتشاء » ! إلا أنهم ما كانوا فى قرارة نفوسهم ليغفلوا أن القوة فوق الحق وأن الحق فى يد الضعيف لا اعتبار له ولا أثر . فقد علمتهم التجارب القاسية هذا ، وأدركوا بفطرتهم السليمة هذا . وما كان لهم إلا أن يدركوه بعد أن عرضوا للرصاص صدورهم العارية ، وهجموا على المدافع الرشاشة بالمناديل ، وسجلوا بذلك بطول نادره ، وتضحية فذة ، وتفانيا نبيلا .. ولكن ماذا استفادوا واستفادت الأجيال القادمة ... وأية نتائج عملية حققوها ؟ !

لنرجع إلى أدب الثورة ، فذلك المنفلوطى أحد كتابها المعاصرين يقول : « اجمعوا جموعكم الهائلة فى أى مكان تريدون . واهتفوا بجميع

ما يمر بخواطركم من أمانيكم القومية ، حتى تبح أصواتكم وتنشق حلوقكم . فأنتم فى نظر الساسة الإنجليز لصوص مجرمون ، ما خرجتم مخرجكم هذا إلا لسرقة الحوانيت ونقب الجدران ، وتكدير صفاء الناس والإخلال بالأمن العام . لاتركوا وسيلة من الوسائل تعلمون أنها تعبر عن مشاعركم وخوالج نفوسكم إلا واتخذوها وتذرعوا بها ، فهى جميعها مظاهر كاذبة ، ومناظر تمثيلية لأن القوة قد حكمت بذلك . وحكم القوة هو الحكم العادل . »

نعم حكم القوة هو الحكم العادل ! وإذا كان الكاتب قد قالها تهكما فقد انطبعت يومئذ فى ذهنه ، كما انطبعت فى أذهان الجماهير حقيقة واقعة وإن طغى عليها إلى حين لجب الثورة واندفاعها ، وقصورها الذاتى الذى حال بعض الوقت دون رجوعها عن الطريق الخاطىء الذى زجت بها فيه أخطاء القيادة .

وكان ولا بد إن يصدم الشعب بالحوادث المتتابعة صدمة عنيفة . وأن يكون لنفوره البطىء من العقلية الكفاحية القانونية ، وقلقه المتزايد على مصير الحركة رد فعل ، وأى رد فعل ! لقد تحول الإقدام إلى فتور . . وتطور الفتور فى النفوس الضعيفة إلى يأس . فإذا بالشعب الذى كان يتقدم إلى المدافع الرشاشة بالطوب والمناديل يفتر ويتخاذل فيقعد عن الكفاح ، ويثبط هم المكافحين بترهات جرت مجرى الأمثال ، مثل « سعد باشا قال ما فيش فايده » و « انت حاتدن فى مالطه » و « بلد بتعبد جحش حش وارميله ! » ومما ثبت هذا اليأس فى نفوس الطبقات الفقيرة والمتدهورة افتقار الحركة الوطنية إلى عمودها الفقرى الاجتماعى وقد ظلت الفوارق الاجتماعية على ما هى عليه ، والمظالم الاجتماعية على

حالها فى ذلك المسخ الذى جاء به الزعماء من بنود قانونية جوفاء ، إلى مقاعد نيـــابية عرجاء ، إلى مناصب وامتيازات يستأثر بها الأغنياء والكبراء ، إلى . . إلى . . مما أطلقوا على مجموعه « استقلالا » وجيوش الاحتلال رابضة . ولهذا كان طبيعياً أن لا تمتد حركة نوفمبر ١٩٣٥ إلى تلك الطبقات ، وأن يقول أغلب من عاصروا ثورة ١٩١٩ لشباب الجيل الجديد عند قيامه بتلك الحركة ، « لقد فعلنا أكثر من هذا وأخطر ، ومع ذلك لم نصل إلى نتيجة ! » وأن يصل الأمر إلى حد مصارحة مجاهد كبير من زعماء الجيل القديم للشباب المندفع المتطرف بقوله يومئذ ، « إذا كان على الاستقلال اللى انتوا عاوزينه ولا اتنين مليون شهيد ! » لكأن الاستقلال أنواع ، ولكأن الزعماء يريدون استقلالا ، والشعب يريد استقلالا آخر ! لكأن الزعماء يريدون استقلال البرلمانات والوزارات ، والشعب يريد الاستقلال الذى يؤخذ ولايعطى . يريد الاستقلال الذى يتفق وعزته القومية ، والذى يهيمن به على أقداره السياسية والاقتصادية فى الداخل والخارج معا ، بحيث يتحرر من كل سطوة أجنبية ، ظاهرة كانت أم مستترة ، مباشرة كانت أم غير مباشرة . وبحيث يكون حرا مطلق الحرية فى اختيار النظام الذى يتراءى له الأصلح لضمان رفاهيته المادية ، ولأن يكفل لكل فرد فيه حداً مناسباً من المعيشة الطيبة ، على قدم المساواة بين جميع المواطنين ، وعلى أساس الاشتراك فى التمتع بخيرات الطبيعة وثمار العلم والمدنية .

فى حركة نوفمبر ١٩٣٥ ، التى اعتبرناها بحق نقطة تحول هامة فى طريق الحركة المصرية ، كان التباين واضحاً على هذا النحو بين التفكير الاجتماعى للزعماء ، والإدراك الاجتماعى للشعب ، بين العقلية الكفاحية

للزعماء ، وبين فلسفة كفاح الجيل الجديد . فكان الزعماء يبدون فى نظر الشباب معتدلين مفرطين ، بينما كان الشباب يبدو فى نظر الزعماء مندفعاً متهوراً . ولم يكن تفكير الشبان فى استخدام وسائل كفاح عملية جديدة ليصادف من زعماء الجيل القديم قبولا !

كان الشباب يسير بفطرته السليمة صوب « القوة » والزعماء يتهيبون مسئولياتها الخطيرة . فبدأت جموع الشبان تنخرط فى فرق التدريب . وظهرت القمصان الخضراء والزرقاء والبنية إلى عالم الوجود . وكان من ثمار هذا الاتجاه العسكرى الجديد حركة التدريب العسكرى فى الجامعة والأزهر والمدارس . وكان من ثماره أيضاً ظهور الخلايا الوطنية فى صفوف الجيش والبوليس . ويرجع الفضل الأول فى تربية جيل جديد من الضباط الوطنيين الأحرار إلى جهود الفريق عزيز المصرى ، الذى لم يكن لتطمئن إليه الرجعية أو الاستعمار ، حرصا على إبعاده من الميدان ، وتعرض للكثير من الاضطهاد والضغط المتواصل !

هذا الاتجاه الجديد ، شأن كل اتجاه جديد كان لامفر من أن تعلق به بعض الأفكار الغريبة قبل اختماره ونضوجه فهؤلاء بعض الوصوليين يتظاهرون بالسير فيه . وهؤلاء بعض المتلهفين والمندفعين بطموحهم الشخصى يحاولون اقتحامه اقتحاما قبل تسويته وتمهيده . وكان الواجب أن تتوسط فترة انتقال بين العقلية الكفاحية العاطفية ، وبين فلسفة الكفاح الجديدة يتاح فيها للأذهان أن تتخلص من العقلية العاطفية تماماً ، ويتاح فيها أيضاً لفلسفة الكفاح الجديدة أن تنضج وتستقر ، وأن يتشربها الناس خالصة سليمة . وإلا ماذا يجدى الخلط بين العقليتين الكفاحيتين ؟ وماذا تجدى المدافع فى أيدى الهتافين ؟ وكيف ننتقل بالناس إلى الكفاح التدبيرى طفرة واحدة ، وهم مازالوا يتندرون بالعمل ، ويسترسلون فى فضول

الهذر ، وما برحوا يستفزون إلى « إظهار الشعور » والانزلاق إلى الأعمال السابقة لأوانها ! هذه الأعمال أو المحاولات المتلهفة التي كادت تجر العواقب الوخيمة على البلاد ، لولا عدم إكتراث كتلة الشعب يومئذ بها ولولا سهر المكافحين الحقيقيين على كبح جماح المندفعين وراء عواطفهم ، وتجنبهم مزالق الاستفزاز ، صيانة للقوى المدخرة ، وانتظاراً للقيام بعمل حاسم في الوقت المناسب !

أن يساء إلى المرء ، وأن يجرح في كبريائه القومي أمر يستفزه من غير شك . ولا يلبث هذا الاستفزاز أن يتفاعل في نفوس « العاطفيين » فيحاولون رد الإساءة في حينها ولو بمجرد « إظهار الشعور » وارتكاب الحماقات بعقلية « فليسجل التاريخ وليشهد العالم ! » أما الرجل المدبر فهو لا ينقاد للاستفزاز ، بل يتحرر منه بتفكيره البعيد الهادئ . إذا كان لا يستطيع رد الإساءة في حينها ، ففي استطاعته أن يذكرها ، ويرجيء ردها إلى وقت آخر مناسب . وهو بإرجائه إياها وتذكرها ، إنما يجمعها ، ويولد من تجمعها وتراكمها قوة دافعة ، تعينه على النصر يوم يتقدم في أنسب وقت لتصفية حسابه جملة واقتدارا . وليس في هذا ما يسيء إليه ، فقد ادخر قواه ، وامتلك زمام النفس ، وتجنب المعارك الثانوية الخاسرة ، ليفوز في معركة فاصلة في النهاية ! وقد احتفظ لنفسه بتجنب الاستفزاز بميزة اختيار الوقت . ولدقة اختيار الوقت أثرها الفعال في مصير المعارك . حتى لقد يتوقف مصير أمة بأسرها على ساعات قلائل ، أو حتى بضعة دقائق !

هذا هو ما يسمى بالعقلية التأهبية أو الاستراتيجية ، التي يجب أن ترتكز عليها فلسفة القوة ، والتي لا نستطيع تشربها إلا إذا تخلصنا من عقليتنا الكفاحية العاطفية تماما . فالقوة لا تجدي ، ما لم تدخر في حدود

الوقت والعقل . وتعبأ لا كتساح القوة المقابلة لها فى الوقت المناسب . ومن الخطل أن يلقى المرء بقوة ضئيلة فى وجه قوة ضخمة ، اللهم إلا بعد أن يدخرقواه وينميها ، لينزل بها إلى الميدان متى جاء الوقت الاستراتيجى للعمل ، أى متى أصبحت الظروف مواتية للنصر ، وإيمانه بالنصر عظيما ! .

ولا تخفى أهمية الإيمان فى أحراز النصر ، إلا أنه يجب علينا أن لانبالغ فى تقديرها إلى حد الاعتماد على الإيمان وحده . فالإيمان من غير قوة يدفعها لا قيمة له ولا أثر . وإن هو من القوة إلا بمثابة قوتها الدافعة . والعلاقة بين القوة والإيمان ، كالعلاقة بين الجسم وسرعته التى يندفع بها ويتحرك نحو غاية . وكلما ازدادت سرعة الجسم كلما كانت قوة ارتطامه كبيرة ، ورد فعله كبيرا . بينما لو انخفضت السرعة وكان الجسم أكبر ، كانت قوة ارتطامه أصغر ، ورد فعله ضئيلا ! ولهذا رأينا المسلمين الأوائل يسحقون بإيمانهم الجارف قوات بلغت فى بعض المواقع ما يربو على عددهم عشر مرات أو عشرين مرة . ولهذا أيضاً نرى الدول اليوم تحرص كل الحرص على رفع معنوية الجيش والشعب فى الحرب الحديثة .

من هنا يجب أن تكون حركة العهد الجديد قوية . . قوية بعدتها وحكمتها وإيمانها . أن تدقق فى اختيار الأنصار ، وأن تخلص فى إعدادهم للكفاح العنيد المستمر ، وأن تقوى إيمانهم بانتصارها وخلود رسالتها . وإذا كانت الأحزاب القديمة ، وجماعات الانحلال المختلفة قد جرت على عادة تصيد الأنصار ، وتدليلهم ومساومتهم ، فإن الحركة الجديدة لن تتصيد أحدا ، ولن تدلل أحدا ، ولن تساوم أحدا . إنها حركة العمل الخالص المنتج المتواصل ، فى حدود الطاعة وإنكار الذات والتعاون ، فيها

يفنى الفرد فى الكل ، وفيها يتمثل الكل فى الفرد ! طريقها واحد ، وغايتها واحدة ، ومجدها واحد ! لا ينفرد بمجدها أحد ، إذ القائد والجندى فيه سواء . ولا فضل لجندى على آخر إلا بعمله . فتلك هى حركة العمل . . مجال التقدم مفتوح فيها للجميع ، كل بقدر كفايته وإخلاصه فى عمله ! .

هذه باختصار هى الخطوط الرئيسية لفلسفة الكفاح الجديدة التى تميز بها الطور الجديد من الحركة المصرية . وقد ظهرت بوادرها الأولى خلال حركة ١٩٣٥ ، ثم امتدت وتبلورت خلال الحرب وبعدها ، حتى كادت تقضى [illegible] الوطنية والعاطفية القديمة . وقد تبدت [illegible] بجمع الشعب على وجوب العدول عن أسلوب المفاوضات العقيم ، مطالبة بإلغاء معاهدة أغسطس ١٩٣٦ . ولم يسع حكومة الوفد إلا أن تسير فى هذا الاتجاه ، فتلغى تلك المعاهدة واتفاقيق الحكم الثنائى فى السودان بجرة قلم . وما أن أعلنت هذا الإلغاء فى أكتوبر ١٩٥١ ، حتى عمت البلاد موجة جارفة من الوطنية الدافقة ، فترك العمال المصريون أعمالهم فى المعسكرات البريطانية فى منطقة القنال بدافع من شعورهم الوطنى الكريم ، وامتنع عمال البحر فى السويس وبور سعيد عن خدمة البواخر الإنجليزية . وامتدت حركة المقاطعة إلى سائر أنحاء البلاد . وتطوع الشبان المكافحون فى كتائب التحرير ، التى طفقت تشن حرب العصابات على المعسكرات والقوافل البريطانية ، مما أقلق أعصاب جيش الاحتلال وأطاش صوابه ، فانطلق كالأعمى يعتدى على الأهالى العزل الآمنين ، ويتحرش بحراس الأمن ، بل ويزيل معالم القرى من الوجود ، مما زاد زاد الحركة اشتعالا وتماسكا على الرغم من تعدد الأحزاب والهيئات ، وتأخر اندماجها تحت قيادة واحدة حكيمة .

وهكذا كشفت الحركة عن تطور حقيقى فى أسلوب كفاح الشعب المصرى ، الذى بدأ ينصرف عن المظاهرات والهتاف ، موجهاً قواه إلى منطقة القنال ، مركزاً جهوده العملية فيها . وقد أصبحت الميدان الرئيسى لمعركة التحرير ، إلى أن دبرت الرجعية بالتواطؤ مع الاستعمار حوادث ٢٦ يناير ١٩٥٢ لتقضى على الحركة وهى فى مهدها . ولتفصل مابين الشعب والحكومة التى ظاهرت كفاحه مفسحة مجالات العمل للقوى الشعبية المجاهدة . التى خاف الرجعيون أن تعود فتنقض عليهم إذا نجحت فى إجلاء المستعمر الغاصب ! .

لقد كانت حوادث ٢٦ يناير مفتعلة دخيلة ، وصم بها الشعب المصرى ظلماً وعدواناً ، وهو البرىء منها براءة الذئب من دم يوسف ! فما كان ليعقل وقد تركز ميدان الحركة فى منطقة القنال ، وتميزت بوسائل كفاحها العملية الجديدة ، أن يعود الشعب فينقل ميدانها إلى القاهرة راجعاً إلى ما كان قد طرحه جانباً من وسائل التظاهر والتخريب .

ونحن إذا حللنا مظهر هذه الحوادث بطريقة علمية ، وجدنا أنها لاتخرج عن أحد احتمالات ثلاثة :

أولا — إما أن تكون انفجاراً شعبياً تلقائياً أهوجا ظهر كرد فعل لمجزرة الإسماعيلية فى اليوم السابق . وهذا مايتنافى مع طبيعة ونطاق الحوادث . فقد اقتصرت على القاهرة وحدها ، واتخذت مظهراً محكم التدبير هو أبعد مايكون عن الهياج التلقائى ، وأقرب مايكون إلى المؤامرة المرسومة .

ثانياً — أو أن تكون محاولة لقلب نظام الحكم أو لإسقاط الحكومة القائمة . وهذا مايتنافى مع مجرى الحوادث ، إذ لم يهتف أحد ضد

الحكومة أو يحاول احتلال دور الحكم والمنشآت العامة . فضلا عن أن هيئات الشعب المكافحة كانت مجمعة على الإبقاء على الوزارة الوفدية ، طالما هى لم تتنكر للحركة . وكان الناس يخشون وقوع تغيير وزارى ، قد يأتى بوزارة رجعية أو معتدلة لاتؤازر الشعب فى كفاحه .

ثالثاً — أو أن تكون هذه الحوادث من قبيل « السابوتاج » أى الإتلاف المدبر للانتقام من المؤسسات الانجليزية والقضاء على دور اللهو والبارات . ومثل هذا التخريب إما أن يصدر عن جماعة وطنية متطرفة أخطأت أسلوب الكفاح [illegible] من صنع عملاء مغررين دفع بهم للقيام بهذه الحوادث لحساب الرجعية والاستعمار ، ولكى يتخذ منها مبرراً لإقالة الوزارة الوفدية ، وحكم البلاد فى ظل الأحكام العرفية ، والقضاء على الحركة تماما .

هذا الاحتمال الأخير هو الأقرب إلى الصواب . وقد ظل الناس يتهامسون به طويلا . فمن قائل إن البوليس السياسى هو الذى دبرها بالتعاون مع عملاء المخابرات البريطانية . . إلى قائل أن بعض المالطيين والخونة من أعضاء شبكة إخوان الحرية ، هم الذين ضللوا البسطاء ودفعوا ببعض الغوغاء إلى ارتكاب هذه الحوادث . كان الناس يتهامسون بهذا وبأكثر من هذا ، ومع ذلك لم يستطع أحد أن يتكلم ، لأن الرقابة الصارمة فرضت على النشر ، ومنعت أى تعليق على حوادث القاهرة ؛ وقضت على كل محاولة للكشف عن أسرارها ودوافعها الخفية . وقد وصم رجال الحزب الاشتراكى بها ، وزج بهم فى غياهب المعتقلات والسجون تشفياً وانتقاما لمجرد أن صحيفتهم هى التى حملت لواء الحملة على القصر والحاشية بقوة وصراحة . كما وصم بالأمس رجال الإخوان المسلمين

ببعض حوادث التخريب خلال معركة فلسطين ؛ واتخذت هذه الحوادث مبرراً للقضاء على حركتهم ، بعد أن رأت الرجعية فى انتشارها خطراً يهدد كيانها ، فأمرت بحلها ، وقضت على مؤسسها الشهيد بعمل إرهابى غادر !

وعلى الرغم من أنه جاء على رأس الوزارة عقب حوادث ٢٦ يناير ، وطنى غيور وسياسى محنك ، وهو الرئيس على ماهر ، إلا أن الرجعية وقد فرضت عليه وزراء معينين من أدواتها ، حالت بينه وبين ما كان يحاوله من تبديد سحب اليأس والشك ، وإتاحة فرص الكفاح للشعب المجاهد . ولم تلبث أن اضطرته مكرهاً إلى الاستقالة ، بطريقة غريبة مثيرة . وبسقوط على ماهر أمسك الرجعيون والمعتدلون بزمام البلاد ، وأمعنوا فى الكبت والاضطهاد ، وامتدت موجة طغيان الرجعية إلى الجيش ، فأغلقت ناديه ، بعد أن عجزت عن فرض عملائها فى مجلس إدارته . مما أثار السخط فى نفوس الضباط وكان سبباً مباشراً لبطشتهم الكبرى التى ردت إلى الشعب حياة الحرية والكرامة . واقتلعت من ظهر الحركة الوطنية تلك الشوكة التى طالما استند إليها الاستعمار لعرقلة تحرر الشعب ونهوضه !

الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر .

الله أكبر ، لقد ذهب الفجر الكاذب وبدأت طلائع الفجر الجديد تظهر !

الله أكبر . لقد انتفض الجيش الباسل لينذر وينتصر ويقهر !

كانوا يخالونها معجزة لا تقع ولن لا تقع ! وفقد الكثيرون إيمانهم بالله وعدله ورحمته ، إذ صور لهم اليأس القاتل أن زمن المعجزات قد مضى وانقضى .

ولكنها القلة المؤمنة المكافحة احتفظت بإيمانها بالله والشعب فحققت بسواعد الجيش الباسل المعجزة !

إن القلم ليقفز فرحا وهو يسطر هذا الفصل الجديد من الكتاب ، في الوقت الذي يخط فيه الجيش المجيد فصلا جديدا في تاريخ مصر الحديثة الناهضة !

سبحانك اللهم العلي القدير ، العزيز المستعان . لقد نزلت الزعامة الوطنية العسكرية إلى الميدان ودكت ببطشتها الكبرى صرح الطغيان ، فحررت الشعب من اليأس والعبودية والهوان ، لتبعثه حرا كريما ، نافذ الإرادة والسلطان !

ولئن كان الجيش الباسل قد سدد ضربته المفاجئة الحاسمة ، والبلاد لم تزل في مرحلة الانتقال ، وفوضى الانحلال على أشدها ، وفلول الجيل القديم وبراعمه مختلطة بطلائع الجيل الجديد وشوائبه ، وقد وقف

الحائرون المترددون فى مفترق الطرق . . . إذا كان الجيش الباسل قد وثب وثبته الكبرى والجبهة المدنية على هذه الصورة المفككة القاتمة . . . فهل تستطيع الجبهة المدنية ، وهى على هذه الحال ، أن تثب وثبتها هى الأخرى ، فتقضى نهائيا على مرحلة الانحلال ، وتنتقل بالحركة المصرية إلى طور جديد ناجح تستقر فيه الأمور ؛ وتنصرف الجهود إلى مرحلة البناء الشاقة المضنية !

تستطيع الجبهة المدنية أن تفعل هذا إذا أخلصت وتطهرت ، وحرصت على تصفية مرحلة الانتقال تصفية نهائية حاسمة . ومثل هذه التصفية لا تتحقق بوحدة مصطنعة بين أحزاب قديمة أوشكت على الزوال ؛ ولا باندماج بين أكثر من جماعة من جماعات الانقال ، وإنما هى تتم على يد الجماعة أو الهيئة الأقوى أنصارا ، والأوفر تنظيما ، والتى تستطيع أن تقطر العناصر المكافحة جميعا تحت لواء أدراكها الوطنى الاشتراكى الإسلامى وفلسفة كفاحها العملية السليمة !

مثل هذه الجماعة أو الهيئة هى وحدها التى تستطيع أن تنحى عن الميدان فلول العهد القديم وبراعمه ، وتمسك بزمام الحركة المصرية فى طورها الجديد ، مجتازة مرحلة التصفية إلى مرحلة البناء والتجديد ، وهى مرحلة شاقة طويلة تقتضى حشد الجهود ؛ ومواصلة العمل ، وتأمين ظهر الحركة دائما بتنقية صفوفها أولا بأول من العناصر الضعيفة أو المغرضة التى قد تتسلل إليها لتقتنص الفرص ، وما أسرع ما تتخلف عند أول محنة فتنزل بالحركة نكسه خطيرة !

لقد انتصرنا والحمد لله فى الجولة الأولى !

وإنها لخطوة كبرى ولا شك أن يحدث الانقلاب . ولكن المهم أن

نعرف كيف نحافظ عليه ، ونسير به فى الطريق الحق ، دون انحراف أو تردد أو تراجع . . . أن نسير فى الخطوات التالية بنفس الروح ، وبنفس القوة الدافعة التى سرنا بها فى الخطوة الأولى . فليس يكفى أن نقوض صرح الطغيان ، ونوطد دعائم الدستور ؛ ونكفل للشعب الحرية ولكن يجب أن نعرف كيف نعيش هذه الحرية ، وكيف نمارسها حقا ، ونثبت بأعمالنا وليس بأقوالنا إنها حقيقة واقعة ، نحن جديرون بها قادرون على المحافظة عليها من كل من قد تحدثه نفسه بالاعتداء عليها وانتقاصها !

إن العبيد الأذلاء من أدوات العهد القديم هم الذين زينوا للظالم الباغى أن يمعن فى الطغيان ويستهتر ، ويعيث فى الأرض فسادا . أما العهد الجديد فلن نبنى صرحه إلا بسواعد الأحرار الذين كافحوا ليعيشوا أحرارا ، ولم ينافقوا أو يتملقوا السلطان ، أو ينزلقوا قط إلى هوة العبودية والمهانة . هؤلاء الأحرار وحدهم هم الذين يستطيعون صيانة الحرية التى انتزعها الإنقلاب . وهم وحدهم الذين يستطيعون المضى فى مرحلة البناء ، والنهوض بما تتطلبه من مسئوليات جسام ، وجهود ضخمة . وأى مسئوليات أجسم وأضخم من إحياء أمة منحلة ، وإعادة بناء نظمها وأوضاعها على أسس عادلة جديدة !

إن المسألة أجل وأسمى من تنازل ملك وتولية آخر . . من سقوط وزارة وقيام أخرى . إنها مسألة إنهيار شامل لنظام فاسد ، وإقامة نظام جديد عادل ! هذا مايريده الشعب وهذا ما أراده رجال الجيش الأبطال يوم وثبوا وثبتهم للبارکة . إنهم يشعرون يقيناً بمسئولياتهم التاريخية الكبرى . وما أعظمها مسئولية ستحيط بكل شىء ، وتمتد إلى كل شىء فى هذا البلد لتطهره من الروح الفردية والوصولية مرة واحدة وإلى الأبد ؛

بحيث لا يظهر فى العهد الجديد حاكم يستغل النفوذ ، أو يتخذ من الحكم مغنما وتجارة . وبحيث لا يترك ليعيش فى ظل العهد الجديد مورد للأسلحة الفاسدة ، أو محقق يأتمر بأمر السلطان ، أو طبيب يجبر المرضى على المرور بعيادته أولا قبل التصريح لهم بدخول المستشفى الأميرى ، أو مدرس يبيع الإمتحانات ، أو موظف يرتشى أو يحابى الخ . . . فهؤلاء وأمثالهم ما كانوا ليعيشوا ويفسدوا فى الأرض ، لو لم يكن الرجال الذين يتناوبون على أجهزة الحكم يستغلون النفوذ ، ويعيثون فى الأرض فسادا ! وما لم يكن النظام الذى سمح لهؤلاء جميعاً بالبقاء ، وشجعهم على ارتكاب هذه الجرائم فى حق الشعب نظاماً عفناً جد فاسد !

لن يقف الأمر إذن عند حد تغيير الأشخاص ، بل سوف يمتد إلى خلق جيل جديد من رجال الحكم ، يدير أمور البلاد بأداة حكومية جديدة . وإذا كانت هذه هى روح العهد الجديد ، فلا يتصورن أحد أن طريقه سيكون ممهداً ، خلواً من الأشواك والعوائق . وأن المنتفعين من النظام القائم من الإقطاعيين وكبار الممولين ، والوصوليين من رجال الجيل القديم وبراعمه ، والمحتمين به من الأذناب سيتخلون عن أماكنهم وامتيازاتهم بسهولة . فكثيرون من هؤلاء ينظرون إلى مراكزهم ومزاياهم الاستثنائية كحقوق مكتسبة . . وقد تدفعهم شهوة المحافظة عليها إلى محاولة عرقلة البرامج الإصلاحية للعهد الجديد بأخبث الوسائل ! وهذا مايجب أن ندخله فى اعتبارنا دائما ، فنحرص كل الحرص على أن لا ندع سبيلا لأمثال هذه العناصر الانتكاسية أن تعود بنا القهقرى إلى الوراء ، أو تحولنا عن أهدافنا الشعبية المرسومة !

لكم حال هؤلاء النفعيون والوصوليون دون إصلاح حال السواد الأعظم من الشعب ، والأخذ بيده من الهوة التى تردى فيها . . لكم حالوا

دون القيام بأى عمل إيجابى لتقوية معنوية الشعب ؛ وتدعيم شعوره القومى برباط مادى يربط بينه وبين الأرض التى يعيش عليها ؛ ونجحوا فى المحافظة على الأوضاع الظالمة بنفوذهم الكبير فى أحزاب الجيل القديم ؛ وبسيطرتهم من وراء ستار على النظام البرلمانى الحزبى ؛ الذى لم يحقق ما علقه الشعب عليه من آمال ؛ وساعد على تفشى وباء الوصولية السياسية ؛ وأساء إلى الروح الكفاحية الاستقلالية أبلغ إساءة ! فهل نترك أمثال هؤلاء النفعيين والوصوليين يحتفظون بمثل هذا النفوذ ، ويمارسون مثل هذا الاستغلال الشائن فى هذا العهد الجديد ؛ الذى ينتظر منه الشعب الخير الكثير ؛ ويعلق عليه آمالا كباراً ؟ !

لا مكان لأمثال هؤلاء النفعيين المستغلين فى العهد الجديد . ويجب أن لانترك لهم ثغرة واحدة ينفذون منها إلى صرحه ؛ لينثروا فيه بذور التحلل والفساد ؛ ليعودوا بذلك إلى نفس المكانة التى كانوا يستأثرون بها فى العهد البائد !

يجب أن يكون العهد الجديد سليما طاهراً .. فلا استغلال ولا نفوذ ، ولا تقصير ولا إهمال ، ولا تبذير فى الوقت والمجهود ، ولا غفلة ولا إضاعة للفرص السانحة المواتية ، بل عمل متصل متواصل ، ويقظة دائمة ، وشعور حقيقى بالمسئولية ، واستعداد طيب للبذل والتضحية .

هكذا يجب أن تكون روحنا جميعاً ، ونحن نستقبل هذا العهد الجديد لنبنى صرحه متكاتفين متعاونين . . يؤدى كل منا واجبه كاملا ؛ قبل أن يطالب غيره بأداء واجبه كاملا . . . وليظل كل منا مؤمناً بالعهد الجديد ؛ أميناً عليه ؛ حريصاً على أن يحقق أهدافه حقيقية كاملة ؛ مقدماً صالح المجموع على مصالحه الخاصة ومطامعه !